

# المسلمون والقبط

## النبة السادسة

انما نطلب حفظ حقوقنا لا اضراراً حق للقبط

اذا كنت اكتب لاجل ايداء القبط أو التحريض على ايدائهم ، أو لاجل محض مدافعتهم ، ومنعهم مما لا اراه حقاً لهم ، فلا حملت بناي قلماً ، ولا حفظت كما امرني الرسول صلى الله عليه وسلم ذمة ورحماً ، بل أشهد الله انني لا اكتب الا لاجل الخير والمصلحة دون الايداء والفسدة . وثقوات ايجابية . لا اغراض سلبية . واذا كان المؤتمر المصري يجتمع ليأتمر بتخطئة القبط في مطالبها فقط فلا خير في هذا المؤتمر واجبه ان يكون عمله سليماً فقط

انني منذ خبرت حال مصر رأيت ان للقبط روابط ملية . دون الرابطة العامة المصرية . بها يتعاونون ويتناصرون . وعليها يجتمعون ويتحدون . ولها يتعلمون ويتربون ، والبايرجعون . فهم بها أمة كما يقولون . وليسوا عضواً من جسم الامة المصرية اذا اشكى عضو من سائر الاعضاء تألموا له . بل هم جسم تام مستقل بمشوماته ومشخصاته القومية . وانما يتصل بما يجاوره ليتغذى منه ويمد حانه لا ليمده ويفضيه هذا ما رأيت عليه القبط فأكرته وحمدتهم عليه .

ورأيت المسلمين على غير ذلك . رأيتهم يتخاذلون ويتفرقون ، ويمتنع غيرهم مادة حياتهم ولا يشعرون . تعادى أحزابهم ويصفون أكثر النابغين فيهم بخيانة الامة والوطن . وهو وصف نذير ينطبق على أحد منهم وانما علتهم الضعف واقتل سببته تخاذل أمتهم ، ليس لهم تربية ملية تجمعهم ، ولا وحدة في التعلم تضمهم ، وثروتهم عرضة للزوال باسرافهم لا يشعر بعضهم بحساب بعض . وليس لمجموعهم شرابين ولا أوودة يكون به جسماً واحداً يد بعض أعضائه بعضاً بالقتل ودفع الأذى .

هذا ما رأيت عليه المسلمين وفيهم من التابغين ما ليس في القبط . ليس عندهم  
فضة كفضائنا . ولا محامون كحامينا . ولا اداريون كادارينا . ولا أطباء كاطبائنا  
ولا كتاب ككتابنا ولا شعراء كعصرائنا . أعني ان التابغين فينا أكثر وأرقى من  
التابغين فيهم ، ولكنهم أرقى منا في الحياة المليئة ، والمقومات القومية ، التي يكون بها أفراد  
الشعب كالبيان يشد بعضه بعضاً ، وكالجسم الواحد اذا اشتكى له عضو تداعى له سائر  
البدن بالحمى والسهر ، كما وردت الأحاديث في وصف المؤمنين ، وقد فقد المسلمون  
قوة هذه الصفات التي جعلها الله سردينهم وآية ايمانهم فلم يبق عندهم التابغون شيئاً  
هذا التفاوت بين شعبيين يشارك أحدهما الآخر في جميع مرافق الحياة تهذر  
عواقبه ، ولا تؤمن مقبته ، أحدهما قوي بالأحاد والتكافل ، والآخر قوي بالكثرة  
ضعيف بالتخاذل ، دأب المتحددين الطمع في سلب مرافق المتخاذلين ، وبذلك ساد  
بعض الشعوب على بعض ، وكثيراً ما كانت الفئة القليلة ، هي التي تسود الفئة الكثيرة ،  
والطامع قد يوغل في حقوق الغافل بغير رفق ، والضعف في الأفعال قد يفضي الى الضعف  
في الدفاع ، فيكون من ذلك ما لا خير فيه للبلاد ، فاحسبت منذ سنين أن أسبه المسلمين  
الى ما تصان به حقوقهم ، مع حفظ المودة بينهم وبين من يعيش معهم ، فكشفت في  
ذلك كثيراً ، ولكن المسلمين كانوا في شغل عن ذلك ، فيقل فيهم من قرأ ما كتبت  
ويقل فيمن قرأ من فهم ، ويقل فيمن فهم من اعتبر ، ويقل فيمن اعتبر من حدث  
غيره بما أصاب من العبرة . وهكذا شأن الغافلين المغرورين يتجهون بالحوادث لا بالأحاديث  
أني مؤمن والمؤمن لا يأس من روح الله ، ولا يقنط من رحمة ربه ، ولو يئست  
من حياة المسلمين لما رأيت شيئاً من الخطر على البلاد في استمرار غفلتهم ، الى أن تصير  
وظائف الحكومة وضرورة البلاد في غير أيديهم ، سواء أوغلت القبط في ذلك برفق  
أو بصف ، فان الأمراض التي يموت بها الأمم تكون كداء السكتة يذهب بحياة المرء وهو  
لا يشعر بأنه يموت . ولكنني أعتقد ان في مسلمي مصر حياة ضعيفة لم تصل الى درجة  
التكافل والتضامن ، وان الخير في تقيتها بالدعوة الى حفظ المصالح ، لا بالدعوة الى  
دفاع المهاجم ، وان هذا لا يكون الا قبل أن يغلبوا على مصالحهم ، ويروا أنفسهم مسخرين  
لمن كانوا دونهم ، يومئذ يخشى أن لا يروا في أيديهم الاسلحة الكثرة فيستملونه  
للضرورة فيما يضر البلاد من الاعتصابات والفتن ، فتلافي ما يخشى في المستقبل منذ  
الآن ، هو الذي يحتملنا على هذا البيان .

ما رأيت استحساناً مما لثنيه نشر في الجرائد بعد رد الاستاذ الامام علي هانوتو

كاستحسان ما كتبه في هذه الايام من المقابلة بين المسلمين والقبط . يذكر لي لك كل من أراه . وكتب الي والى المؤيد غير واحد يشكرون لي ذلك ويطلبون المزيد منه ، أذكر هذا تمهيداً لقول بعض هؤلاء الحامدين الشاكرين : لماذا لم تنبها من غفلتنا مثل هذه المقالات قبل اليوم؟ ول هؤلاء أقول انني قد فعلت وقلما قررت حقيقة في هذه الايام الا وقد يتها من قبل في المتر أو في بعض الجرائد اليومية . ولكن المسلمين كانوا في غمرة ساهين ، لا يعنون بما يكتب ولا يحفلون به الا ما يكون عند الحوادث المؤلثة ، والصيحات المزعجة ، ثم لا يلبثون أن ينسوا ويهودوا الى سابق لهوهم وسهوهم ، حتى خسيت أن تكون كما قال شاعرنا من قبل في مثله الذي يشبها فيه بالغم الرامية تظل غافلة متأدية في رعبها حتى اذا ما سمعت نباءة صائح رباع وترفع رؤوسها تاركة الارتماء فاذا سكت الصائح طادت الى سابق شأنها أعني بهذا قول ابن دريد في مقصوده

نحن ولا كفران لله كما قد قيل في السارباخلى فارتمى  
اذا أحس نباءة ربيع وان تطامنت عنه تمادى ولها

صاحت القبط منذ ثلاث سنين مثل صيحتهم في هذه السنة فكتبت مقالة في المتر عنوانها ( المسلمون والقبط ) كانت لها باعتدال الرأي والادب في العبارة أحسن الوقع فنقلها بعض أصحاب الجرائد اليومية ولخصها بعض آخر ، فلم تلبث القبط أن سكت صيحتها ، وسكنت في الظاهر دون الباطن ثورتها ، فنسي المسلمون ما كان ، حتى تجددت الصيحة في هذا العام ، بأقوى وادوم مما كان في سابق الاعوام

افتتحت تلك المقالة بهذه الجملة :

« سبق لنا قول في هاتين الطائفتين بمصر يننا فيه أن المسلمين من حيث هم أفراد أرقى من القبط في كل علم ، وأن القبط من حيث الاجتماع والتعاقد الملى أرقى من المسلمين ، فلمهم مجلس ملي وجميات وجرائد دينية تبحث دائماً في مصالحهم العامة من حيث هم قبط ، وهم يتعاونون ويتحدون في المصالح . وهذا ما حمدتهم واحمدهم عليه وأتمنى لو يوفق المسلمون مثله ، وان كنت أعلم أنه لو أنشأ المسلمون جمعية للرابطة الاسلامية كجمعية الرابطة المسيحية لما وجدوا في القبط مثل احمد بك زكي يقوم فيها خطيباً ويحمل عنوان خطابه « مصريون قبل كل شيء » بل يخشى ان يقوموا كما تقوم أوربة ويقول الجميع ان المسلمين في مصر يحميون التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ويدعون الى ارتباط بعضهم ببعض لمقاومة النصارى في مصر بل في جميع الارض » ثم يثبت نسبة القبط الى المسلمين في العدد وفي أعمال الحكومة وأنهم أكثر فيها من

المسلمين ، وهم يدعون على ذلك أنهم مظلومون مهضومون ، ويطلبون لانفسهم سائر أعمال الحكومة التي في أيدي المسلمين ، وأنهم يسون انفسهم أهل البلاد ، ويدلون ويخفرون على المسلمين بالانتساب الى آل فرعون ذي الارتاد ، الذين طفون في البلاد فأكثروا فيها الفساد ، ويجهرون بأن المسلم فيها أجنبي محتل ، وأتأوي معمد ، وينكرون أن يكون للمسلمين فيها حق من حيث هم مسلمون فأحون ، على ادعائهم الحقوق فيها من حيث هم قبط مسيحيون ، وبينت فيها مواثبهم للمسلمين من أخصف جانب يرويه فيهم ، وهو تهيج الانكليز وسائر الاوربيين عليهم بتهمة التعصب الاسلامي ، وكون هذه المواثبة قد تفضي الى ندم المسلمين على ما قاموا به من دعوة الوطنية واعتقاد أنها كانت خساراً عليهم ومخاروفوز للقبط ، وأنهم اذا خسروا مودة المسلمين فلا يمكن أن يجحدوا عوضاً خيراً منها فانهم لا يقدرون على استغلال أوضاعهم بعد ذلك

وبينت هناك أن القبط لا يمتازون على غيرهم من نصارى المصريين ويهودهم وإنما ميزهم المسلمون عناية بهم ، وبجنت في دين الحكومة الرسمي وذكرت مساعدة بعض رجال الدين من الانكليز لهم ، وأن المساواة التي يطلبونها هي امتياز على المسلمين من وجه آخر

نصحت للقبط في تلك المقالة نصيحة لو عقلوها وعملوا بها ، لما وقعوا في السبئية التي ندموا الآن أن اجترحوها ، وقد سبني في هذه الايام كتبهم في جرائمهم ولو عقلوا قولي لاستبدلوا الثناء بالهجاء ، فقد بينت لهم الآن كما بينت لهم من قبل ان المسلمين يغلب عليهم النسيان والتواكل ، وأنه لا شيء يحول دون سلب القبط منهم كل ما في أيديهم الا هذه الجمجمة الباطنية والمسيحية ، التي تدفعهم بالرغم منهم لملقا بلتها بالخيرية الاسلامية ، وهذا نص نصيحتي لهم منذ ثلاث سنين :

« فالرأي عندي للقبط ان لا يفتروا بترجيح بعض الجرائد الافرنجية لاصواتهم في الشكوى من المسلمين والقول بتعصبهم ولا من مرور بعض الانكليز به - ان كان ما قيل حقاً - فانهم ربما أصابوا من تمضيد في مشاققة المسلمين فهو لا يكون خلفاً صالحاً لموتهم فيها أرى . فأصح لهم ان يتوبوا عما فعلوا ويعتذروا عنه ويعودوا الى سابق شأنهم ، أو الى خير منه ان استطاعوا . والمسلمون تغلب عليهم سلامة القلب ولا يلبثون ان ينفروا لهم ، وينسوا ما كان منهم ، ففي حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي « المؤمن غر كريم » أي ليس بذي نكر ولا مكر ولا خداع . ولولا أنني أحب الوفاق لما نصحت لهم بهذا فاني أعلم ان هذه المشاققة لا تزيد المسلمين

الا قوة في رابطتهم الاسلامية التي أدعو اليها ، وحفظا لحقوقهم التي اغار عليها ، ولكنني أفضل ان يكون تبهيي لهم بغير هذا :

« احب ان يعنصوا بحبل الله جميعا ولا يفرقوا ، وان يكونوا مع ذلك على وفاق ووئام مع من يعيش معهم ، وانصح للمسلمين ان لا يكتبوا شيئاً في الرد على القبط ، ولو لم يكتبوا في الماضي ما كتبوا لسكان خيرا لهم واحسن اطفاء لتلك الفتنة وخذلاً فآلموظفها . ولكن لا بأس ببيان عدد الموظفين منهم في كل مديرية ، وذكر الوقائع في تمصب بعضهم لبعض ، وتعاونهم المالي الخصب ، من باب بيان الحقيقة والاعتبار بها ، بشرط أن يتحرى الصحيح ، ولا تمزج الرواية بشيء من التائب والتجريح ، فضلا عن الهجر والتقييح »

لم تعمل القبط بهذه النصيحة لاعتقادها أن المسلمين قد قضى عليهم ، وانهم أمسوا مشلولين لاجراك بهم ، وزادها غرورا ان رأيت المسلمين نسوا تلك العارة الشعواء ولم يأخذوا حذرهم من مثلها ، ولا سمعوا نصيحتي باحصاء الموظفين ، لبيان أن القبط غائبون غير مغبورين ، فهاهم أولاء قد استدركوا في هذه المرة ما فاتهم في العارة ، فكانت كرة القبط كرة خاسرة

اني على تبهيي للمسلمين وحرصني على حفظ مصالحهم ومرافقهم ورغبتي في ترقيتهم ، أحرى على ما تعودت من المحافظة على مودة كل من يعيش معهم ، ويشاركهم في أوطانهم ، ولهذا قلت اني أحب نصحتهم بغير هذه الوسيلة ولذلك أشرت عند الحركة الاولى الى ما يسكنها ، وقد سكنت وابت القبط الا أن تعود الى تحريكها ، وثبت لنا ان المسلمين لا يتبهون الا بمثل هذه الصيحات المنكرة في وجوههم

نهت قبل هذا على النسبة بين المسلمين والقبط في مصر وبينهم وبين غيرهم في الاقطار الاخرى مقالات اجتماعية شخصت الحال تشخيصاً وذكرت بما يجب تذكرياً . واني لتفاقل الذكرى ؟ كتبت في الجزء الاول من مجلد المنار الثامن الذي صدر في المحرم سنة ١٣٢٣ ( مارس سنة ١٩٠٥ ) مقالا عنوانه ( حياة الامم وموتها ) عرفت فيه حياة الامة بانها أر روح يسري في أفرادها فيشمرهم بان مكان كل واحد منهم من مجموع الامة مكان أحد أعضائه من جسده فهو يلاحظ في كل عمل منفعته نفسه ومنفعته مائة كما ان عمل كل عضو في البدن يكون سبب حفظ حياته من حيث هو سبب لحفظ حياة البدن كله » وقارنت بين حياة الافراد وحياة الامم وبين حياة الاجسام وحياة النفوس وضربت المثل لامة تموت بالوارث المسرف ، ولامة تحيا بالتاجر المقصد ،

ذلك يتقص ماله الكثير كل يوم، وهذا يزداد ماله القليل كل يوم . وأول ما يخطر في بال المصري في هذا المقام ورثة شريف باشا واحراؤهم وخدمهم من القبط، أولئك أضعوا ثروتهم الواسعة فصاروا فقراء، وهؤلاء امتصوا تلك الثروة فصاروا أغنياء

قلت في تلك المقالة « معرفة شؤون الأمم والشعوب ، أخفى على الأكثرين من معرفة حال الأفراد والبيوت ، فكم من جاهل يفضل أمة على أخرى لأنها أصح ديناً وأعدل شريعة ، أو لأنها أشرف أرومة ، وأعرق في المجد جرثومة ، أو لأن تراثها من سلفها أكثر ، ومزاياها الجنسية اشهر ، أو لأنها أكثر عدداً ومدداً ، وأعمر عشيرة وقرأ ، وإذا صح ان يكون هذا كله أو بعضه للأمة التي تموت زمناً من الأزمان . فانه لا يبقى الا ريباً متصل بها أمة حية ، تقرأ هذه تمتص جميع مزايا تلك ومقوماتها الحيوية ، وتلك تحمل آفات هذه وعللها البشرية ، حتى تكون احدهما في عليين ، والاخرى في أسفل سافلين

« يسهل على القارئ في الشرق القريب أن ينظر فيما بين يديه من الشعوب التي تضمها جنسية سياسية أو لغوية ، وتصل بينها روابط نسبية أو مليية ، فانه يرى شعبين يمتاز أحدهما بكثرة العدد وكثرة المال ، وقوة الحكم وقوة العلم ، ثم يجد نفسه تفضل قليل المزايا منهما على كثيرها . لانه يرى الشعب الكثير المزايا يمزق وينترق فتذهب مزاياه بذهاب الاجوام ، والشعب القليل المزايا ينمو ويسمو ويجمع ويقالف فيمتز ويشرف باقبال الايام ، يرى الشعب الكبير يتخاذل فيتضاءل ، والشعب الصغير يتلاهم ويتعاضم ، وما ذلك الا أن في أحدهما نسمة حياة تدفع عنه الاعراض الضارة بالشعوب فيقوى ويزكو ، وتفديه كل يوم بغذاء جديد فيصمو ويسمو ، وليس في الآخر شيء من هذه الحياة فهو كجسم العاشق يذوب ويضمحل ، ويحقر ويذل »

ثم بلده مقارنة أخرى بين شعبين يحيا الكبير منهما ويموت الصغير فدت وأي من يجعل للصغر والكبر دخلاً في الحياة والاتحاد بما نصه :

« لا يفرنك ما ترى من آيات الحياة في أمة تقطعت روابطها ، وانفصمت عروة الثقة بين أفرادها ، وبغض اليها النظام ، وفقدت التلاحم والائتام ، وان كان ما نراه أخلاقاً كريمة ، ومدارف صحيحة ، وثروة واسعة ، وسلطة نافذة ، مع العلم بأن هذه الاشياء كلها هي آثار الحياة توجد بوجودها وتذهب لذهابها ، فقد يكون ذلك من بقايا اوث قديم ، يثبت به الفساد الحديث ، الا أن ترى العلم والاخلاق تقرب البعيد ، وتجمع الشتيت ، وتزيد في الثقة بين الناس ، وتدعو الى التعاون على البر والاحسان ، وترى الثروة

تجمع مع ملاحظة مصلحة الامة وينفق جزء منها على المنافع العامة » الخ  
وقد كتبت في تلك السنة ( ١٣٢٣ ) مقالة أخرى عنوانها « المسلمون والقبط  
أو - آية الموت وآية الحياة » كان سببها ما كتبه المؤيد وكتبته جريدة الوطن في  
مسألة « التعليم الديني والحكومة » وما طلبه القبط من مساواتهم بالمسلمين فيما يشترط  
في اعطاء حفاظ القرآن من خدمة العسكرية ، وذكرت في هامشها اني « طالما عازمت  
على كتابة مقالات في المقابلة بين مسلمي مصر وقبطها وبين المسلمين والنصارى عامة  
ثم أرجأتها » وسبب الارغاء امتظار الفرص التي تنبه الأذهان الى ما يكتب والتفوس  
الى العبرة به

وجملة القول اتا ترى ان القبط يطلبون ما ليس بحق شرعي لهم وانما يطلبونه  
بقوة الاتحاد الملى وضمف المسلمين ونحاذلهم وزري المسلمين تضيع حقوقهم الشرعية  
وهم يخافون . و ترى ان القبط قد أيقظوا المسلمين ونبهوهم قبل الوصول الى حد  
الأس الذي تخشى طاقته . و ترى ان يان حق كل ذي حق ومكان كل من الآخر  
هو الذي يمكن أن ينبي عليه الصلح الثابت ، والوفاق الدائم ، وسفين في النبذة التالية  
مكان كل من هذه الحكومة وهل هي حكومة اسلامية أم لا

\*\*\*

## النبذة السابعة

### هل الحكومة المصرية اسلامية أم لا

اني بحثت وأبحث في مقالي هذا عن الحقيقة الكائنة لاعتن الرغبة التي أحب أن  
تكون ، والعاقل هو الذي يجب جلاء الحقائق ، وبيان الواقع الكائن ، ويستفيد منه  
عبرة ، ويزداد بصيرة ، فيسلك الى مقاصده في طريق النور لا طريق الظلمة . ولوتدبرت  
القبط هذا لكفأتني جرائدها بالحمد والشكر ، لا بما جاءت به من السب والهجر .  
من هذه الحقائق التي أيتها في هذه النبذة وقد أشرت اليها من قبل ان المسلمين  
يعدون أنفسهم أمة جنسيتها الاسلام وأنه يجب أن يكون لهم حكومة اسلامية . وان  
جنسيتهم هذه واسعة عادلة لا تفرق في العدل بين المسلم وغيره . وذات سماحة وحرية  
لا تمنع أهلها أن يشاركوا غيرهم فيها وفي جميع مرافق الحياة . كما ولوا القبط في القديم  
والحديث الى هذا اليوم أكثر أعمالهم في الحكومة وكذا في عقارهم وأرضهم وأوقافهم

بالغوا في التسامح وأسرفوا في الجود والسباحة في أيام قوتهم وقموا من السلطة باسم السيادة وكونهم هم المعطين وغيرهم هو المعطى حتى إذا ما حل بهم الضيف صار ما أعطوه للأجانب حقوقاً وامتيازات يستعملون بها عليهم ويزيدون فيها بقوتهم ماشاءوا ، ويفسرونها كما أرادوا . وقد كان هذا بتكافل الدول القوية واتحادها بالتدريج فأذاقوا المسلمين صرارة قهر بطهم لقمة بعد لقمة ، وجرعة في إثر جرعة ، فتجرعوه كارهين مكروهين ، كما بذلوه من قبل واضين مرضيين .

أرادت القبط أن تقيس نفسها على الدول الكبرى فتسمى ما سمح لها به المسلمون حقوقاً واجبة وتزيد فيها ما تشاء ، فأنشأت تطلب لنفسها الزيادة فيما سمته حقوقاً وإزالة ما بقي للمسلمين من امتياز اسلامي بمشاركتها لهم فيه . وقد كان هذا مما يسفه المسلمون المساكين جرعة بعد جرعة كما أساغوا تلك الامتيازات مع الاعتراف لهم بأن الحكومة حكومتهم . ولكن أبت جرائد القبط ومؤتمر القبط الا أن تنازع المسلمين اسم السلطة كما نازعتهم معناها . وانها لا حدى الكبر التي لم يتن للمسلمين في مصر أن يسبقوها مختارين مضت سنة الله في أهل السيادة الذين يضعون سيادتهم بسوء تصرفهم أن يكون آخر ما يهتمون به الأسماء والالقب والرسوم والشارات الظاهرة كما هو معروف في تاريخ الشرق والغرب

دع ذكر ملوك الطوائف وأمراء المسلمين من الاندلس الى فارس والهند واعتبر بحال أمراء جبل لبنان من مسلمي الشيعة تجدهم في آخر عهدهم ، بعد أن ملكت النصارى حتى من خدمهم واجرائهم معظم ما كان لهم ، كانوا يقنعون من الامتياز باللقب ولبس الاحذية الحمراء التي كانت خاصة بهم من دون الفلاحين حتى كان الشيخ منهم يكون له الحقل أو الكرم الواحد من الأرض والعقار قهدي اليه الفلاح النصراني حذاء أحر ( جزمة ) ويظهر له أنه جيء به فلم يرد أن يلبسه تأدياً معه ، فيهبه الشيخ اياه وربما كان آخر ما يملكه

أصاب القبط موضع التأثير من قلوب المسلمين بقولها ان حكومة مصر ليست اسلامية ( أو حركة الوتر الحساس من نفوسهم كما تقول الافرنج ) وقد حمل هذه الدعوى خطيبهم في مؤتمر أسبوط قضية مسلمة فحمد الله وحمد نية المصريين أن كان الذين يقولون منهم ان هذا البلد اسلامي لا يجاوزون عدد الاصابع وهذا الطغف ما قالوه في هذا الباب لانهم قالوه بعد العلم بأن المسلمين تألموا من مؤتمرهم وعزموا على انشاء مؤتمر اسلامي

نعم ان المسلمین مفتونون بالحکومة في كل مكان ، وهذا هو الواقع وان أضر بهم في هذا الزمان ، فانه صرفهم عن ترقية أنفسهم ، والاعتماد علی استعدادهم ومواهبهم ، ألم تروا ان المسلمین بمصر قد أهملوا امر الامة وتركوا للمرايين والمفاسدين والقوادین والحمارین یغتالون ثروتها ، ویجنون علی دینها وعرضها وصحتها ، وجعل اصحاب الجرائد وغيرهم من المتصدین والمتصدین للامور العامة یجاهدون الحکومة والاحتلال المیسطر علیها ، وقد ترك الامة حریتها تعمل ما تشاء فلم تعمل شیئاً يذكر ، ولماذا ؟ لان الزعماء شغلوا بفتنة السلطة عن نفسها حتی انهم كانوا یبدون من یحب ان یكون هم الامة الاکبر في ترقية نفسها بالتعلیم والثروة خائماً للامة خادماً للاحتلال ، لان الواجب عندهم قبل كل شیء هو ازالة الاحتلال ثم اصلاح الامة بالحکومة المستقلة مقاومة الاحتلال بالسهل الممكن وهو الكلام طبعی لاعتراض علیه ، والانتقاد علی الحکومة - والحرية واسعة - طبعی لا بد منه ، وانما المتفقد هو جعل المسلمین همهم كله في ذلك ، واهمالهم امر تریة الامة وتکوینها ، وقد سلم من هذا الانتقاد القبط فکوتوا أنفسهم حتی صاروا علی قتلهم یقولون « الامة القبطیة » بحق ، وانما أخطؤوا أخیراً بما نازعوا المسلمین في شکل الحکومة وتصیرهم بأنها غیر اسلامیة الحق الواقع ان جمهور المسلمین یرون ان حکومة مصر اسلامیة وشعورهم في هذا رقیق جداً یجرحه القول اللطیف ولهذا كان لورد کرومر وهو ذلك الشجاع الجبار یتحای ان یلمس أي شیء له علاقة بالدين ، وهذه هي سنة السياسة عند الفحول المقرمین من أهلها ، وعلیها جرى الکثیرون في ابقاء بعض امراء المسلمین في البلاد التي ملک الافرنج أمرها كله کسلطین جزائر جاوه وبای تونس وبعض الثواب في الهند لتوهم العامة ان حکامها من أبناء دینها هذا هو شعور الجماهير وانی لأعرف من المسلمین من یری أن الخیر للمسلمین ان تعلن هذه الحکومة رسمياً انها غیر اسلامیة وان تترك للمسلمین جمیع شؤونهم الملیة یدبرونها بأنفسهم كما تترك مثل ذلك للقبط وغيرهم کالمحاكم الشرعیة والاقواف والمعاهد الدینیة كلها

یری هؤلاء ان هذا الاعلان اذا حصل ینهب بفرور المسلمین بهذه الحکومة التي لاحظ لهم من عنایتها ، ویبدلهم من بعد اتکالم استقلالاً واعتماداً علی عملهم ، ومن بعد کسلهم نشاطاً واقداماً علی ترقية أنفسهم ، حتی اذا ما ارتقوا وتكونوا بتوحید

التربية المالية والتعليم الحرف صاروا أمة واحدة تكون حكومتهم تابعة للرأي العام المستقل في الأمة لان هذه هي عاقبة جميع الامم المرتقية

تقول القبط ان هذه الحكومة مصرية لاسلامية وساطتها العام حاكم مدني لا حاكم ديني . وقد يحتاج من يرى هذا بأنها تشريع مالم يشعه الاسلام من القوانين وتبيح مالم يحبه من الفسق . وقد يرد عليهم الجمهور بأن خطأ الحكومة في هذه المسائل كخطأ الافراد فكما يخالف أفراد المسلمين هداية دينهم فيزنون ويسكرون ، يخالف حكومتهم هذه الهداية فلا تمتع الزنا والسكر . وحكم الفقه ان المصيبة لا تخرج صاحبها من الاسلام الا اذا جحد تحريمها وكان مجتماً عليه معلوماً من الدين بالضرورة . وكما تكون الأمة يكون أولياء أمورها لانهم منها . وقد عرض لهذه الحكومة من سلطة الاجانب ما جعلها غير مختارة ولا مستقلة في كل شيء اسلامي لكن السلطة الاجنبية لم تمتح منها كل ما هو اسلامي

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تستولي على مال من يموت من المسلمين عن غير وارث ، ولا تستولي على مال من لا وارث له من القبط وغيرهم من النصارى واليهود

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تتولى هي القضاء الشرعي الاسلامي في الاحكام الشخصية وتدع مثل ذلك لغير المسلمين يحكمون فيه بما يعتقدون ، ان القاضي الاكبر الذي يتولى السلطة الشرعية العليا من قبل خليفة المسلمين يحكم بين الناس بمذهب الخليفة والامير وكذلك سائر القضاة . ولا يحكم أحد منهم بين المتخاصمين بأحكام المذهب الذي يتقلدونه بل جعلوا قضاء مصر حنفياً محضاً كالقضاء في بلاد الترك الحنفية ، واهل مصر شافعية ومالكية الا القليل

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا لا تترك للمسلمين أوقافهم كما تركت للقبط وغيرهم أوقافهم ، فاذا كان الحدبو كما تقول القبط حاكماً مدنياً فقط ونسبة المسلمين والقبط اليه من حيث هو حاكم واحدة فهل يرضون بكل ما يتفرع على هذا الاصل ومجبولون له الحق أن يعطي من أوقاف القبط للمنافع المشتركة ( كالجامة المصرية ) كما يعطي من أوقاف المسلمين

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تضع هي القوانين للمعاهد الدينية التعليمية كالازهر وغيره من جوامع العلم الديني وتولي هي المشايخ عليه ومشايخ المذاهب وترفع بعضهم في الرتب العلمية الدينية على بعض . ولماذا تولي أئمة الصلوات وخطباء

الجمعة ولا ترى لها مثل هذا الحق في مساهد الديانة النصرانية من الاديار والكنائس وقسوسها وورهبانها وسائر رجال دينها وانما تكفي بعض الرسوم الدالة على ان هذه الديانة من الديانات التي اقرتها الحكومة في بلادها ولها عليها حق الحماية وحفظ الحرية الدينية . وليس لكل أهل دين هذا الحق في كل حكومة فالباية ليس لهم حقوق دينية في بلاد الدولة العثمانية كالتصاري مثلاً

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا ترك العمل في الاعياد الدينية الاسلامية وتحتفل بها احتفالاً رسمياً كما تحتفل بالمولد النبوي الشريف دون اعياد القبط وغيرهم ودون مولد سيدنا عيسى عليه السلام ومثل ذلك الاحتفال بمجمل الحج وكسوة الكعبة المعظمة

لست أعني بهذه الامثلة والشواهد انها كلها من القرائض أو السنن في أصل الاسلام ، أو من الاحكام التي فرضها الدين على الحكام ، فالصحابة والتابعون والائمة المجتهدون لم يحتفلوا بذكرى المولد ولا المعراج كما تحتفل الحكومات الاسلامية الآن وإنما أعني أن هذه الخصائص من آثار كون الحكومة اسلامية

تريد القبط أن تحو هذه الخصائص ومن سائلها الى ذلك طلب ترك العمل في يوم الاحد وطلب جعل أموال الحكومة المصرية شرعاً بينهم وبين المسلمين لا يتفق شيء منها في مصلحة اسلامية ، الا وينفق مثله في مصلحة قبطية ، وهذا أصل عام ينفع منه اذا قبل محو جميع خصائص المسلمين في هذه الحكومة . وتحتج القبط على حقيقة هذا الطلب بأن هذه الحكومة مصرية لا اسلامية فهذا هو الاصل عندها فاذا قبلته الحكومة ترتب عليه ما طلبوا أو أكثر مما طلبوا من الفروع

واذا محصنا المسألة وبيننا حقيقتها ترى أن المطلوب هو اخراج هذه الحكومة عن كونها اسلامية بازالة كل اختصاص للمسلمين فيها ولكن أبوا أن يعترفوا بهذا الاصل ويطلبوا هدمه ورجحوا أن يهدم ما بني عليه . وهذا من الدهاء والحكمة لأن طلب ابطال الفروع أخف على النفوس من طلب ابطال الاصول فانه من قبيل الدعوى بالدليل ، ولان من اعترف بالاصل لزمه الاعتراف بالفروع . فاجروا عليه هو الاقوى والافرع لهم وهو أشد على المسلمين في باطنه وحقيقته ، وأخف في ظاهره وصورته .

ان الدولة العثمانية أم الحكومة المصرية واقفة أمام مثل هذه المسألة في بلادها . فقد قام التصاري بمد الدستور يطالبون بنحو ما تطالب به القبط . ولكنهم لا يزالون

يخفون أكثر مما يظهرون، وليس موضوع كلامي أبدأه وأني أومئلي في تخطيطه هذا أو ذلك ولا تصويبه وإنما رأيت الأمر غمة على المسلمين والنصارى كافة وما رأيت أحداً يتجراً على بيان الواقع فأحبت أن أبينه كما هو لا كما يجب أن يكون

الواقع ان الحكومة العثمانية حكومة اسلامية قبل الدستور وبعده وان الحكومة المصرية مثلها وتابعة لها في كونها اسلامية وانما تختلف في شيء واحد وهو انها مستقلة في ادارتها الداخلية بمهد ( فرمان ) من السلاطين . وان الاحتلال الاجنبي مسيطر عليها . وقد صرح القانون الاساسي للدولة بأن دينها الرسمي هو الاسلام وأن سلطانها هو خليفة المسلمين . والدين في حكومتها أظهر منه في الحكومة المصرية التي هي تحت سيادتها . فان شيخ الاسلام هناك هو العضو الاول في مجلس النظار وباب المشيخة الاسلامية من أكبر نظارتها . واذا تناقش مجلس الامة من المبعوثين أو الأعيان في مسألة وقال أحد منهم انها مخالفة للدين لا يستطيع أحد أن يقول لا ضرر في ذلك بل يدعون ذلك بعدم التسليم له فلو كان جميع المبعوثين من المسلمين هالمين بالشرع الاسلامي وأرادوا أن يطبقوا جميع القوانين على أحكامه لفعولوا بلا معارض

هذا هو الواقع هنا وهناك وهو يتقل على القبط وسائر النصارى وان كان أميلهم بأمرهم أن يخضعوا لكل حاكم، وان يعطوا ماليقصر لقيصر، وما لله لله ، ويفخرون بأن دينهم فصل بذلك بين الدين والحكومة ، ولكنه لا يتقل على اليهود الجامع كتابهم بين الدين والحكومة ، بل يكفني هؤلاء من الحكومة بأن تمنحهم الحرية في دينهم وكسبهم ، وقد وجدوا من هذه الحرية في بلاد المسلمين أيام قوتهم وأيام ضعفهم ما لم يجدوه في بلاد أخرى في الحالتين

النصارى أحرص الناس على السلطة والحكم والقرية الأفرنجية في نفوسهم تأثير عظيم في ذلك فهم لا يرضون من الحكومتين العثمانية والمصرية تمام الرضى إلا بالانسلاخ التام من الاسلامية ، ولكن هذا الانسلاخ مما لا يستطيع الا بالتدرج البطيء في الزمن الطويل ، فان الاشخاص والاقوام والحكومات تتكون كطبقات الارض بفعل الزمن الطويل وما كان كذلك لا يمكن تفسيره دفعة واحدة كما قلنا ولهذا بينت من قبل أن القبط قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ومنعهم بفضهم للعرب أن يهتدوا فيه بحكمة شاعرهم التي سيرها مثلا وهي .

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

قلت هذا لأن ما يطلبونهم واخوانهم من سلخ الحكومتين من الاسلامية لا يمكن

أن يحصل الا بالتدرج وبموافقة المسلمين لهم عليه . وقد وجد من المسلمين الجغرافيين ( أي الذين يمدون من المسلمين في احصاء الجغرافية وان لم يعرفوا ماهو الاسلام ) من يرون هذا الرأي ، ويسعون هذا السبي ، بالدعوة الى حل الرابطة الاسلاميه ، والاستعاضة عنها بالرابطة الوطنية أو الجنسية. وقد صار لاصحاب هذا الرأي أحزاب وزعماء يهودون المسلمين الى حيث يجهاون ، وترك رجال الدين زعامة الامة وقيادتها لهم وهم يعلمون ان منهم الملحد ومنهم الفاسق الذي يشرب الخمر وزني ويلوط ، ومنهم الذي يحل الربا ، وأمثال هؤلاء الزعماء أحرص على سلخ الحكومة من الدين من التصاري لانه يتمذرع عليهم أن يجمعوا بين شهوراتهم وأهوائهم والزعامة في قومهم ، وبين الحكومة الاسلاميه

لو صبرت القبط والتصاري في البلاد المانياية لكفاهم هؤلاء المسلمون الجغرافيون لاصر ، كما يشته من قبل ، ألم يروا أنه لا يوجد مشروع اسلامي الا ويكونون هم المقاومين له لانهم يخشون قوة الدين على زعامتهم ووطنيتهم ، وان كان من قوم لا اعناية لهم بالزعامة ، ولا يحبون أن يقربوا من تار السياسة ، ولكنهم اذ لم يصبروا ، يخشى أن يجيء الامر على ضد ما طلبوا .

يحسن ان يتقنوا الآن بمسالمهم في الحكومتين من الحرية الواسعة ، وجواز مشاركة المسلمين في أكثر أعمال الحكومة أو كل ما لا يختص بالدين منها ، والقبط أجدر بهذه القاعة من غيرهم لان أكثر أعمال الحكومة الخديوية في أيديهم وليتدبروا حال الحكومات الاوربية العريقة في الحكومة الثبائية ، كيف لا تزال على ندره الخالفين انعوبها في دينها تفضل مذهب الجمهور والحكومة على غيره ، حتى أن فرنسا وهي الجمهورية التي صرحت بأنه لا دين لحكومتها الا يمكن ان تجعل من اليهود المالكين على أزمة القوة المالية فيها قوادا للجيش ولا للاساطيل ولا رؤساء للجمهورية ، دع معاملتها لمسلمي الجزائر وتونس

ان تصرح القبط وغيرهم بهذه المسألة عواقب توقع ولا سيما اذا أحيوا اليها ( منها ) تنبيه غيرة المسلمين العاقلين الى وجوب اقامة حكومتهم لشريعتهم ، ولا يمكن للحكومة العاقلة أن تحالف رغبة الجمهور الاعظم من رعتها الى رغبة التزر اليسير ولو فيها ترغب هي فيه

• ( ومنها ) تصدي الدولة العلية للمداخلة في الامر باسم الخلافة والسيادة اذا أخطت الحكومة بعض المطالب تقريبا على الاصل الذي تقرره القبط وهو انها غير اسلامية .

وقد سمعنا هذه الايام صوت مجلس المبعوثين في الاستانة يبحث عن القاضي الاكبر والقضاء في مصر ويطالب بالمحافظة على الشرع فيها وعهد الى شيخ الاسلام بالبحث عن ذلك وايضاح ما يقف عليه المجلس وما نظن ان الحكومة الانكليزية يجب فتح هذا الباب في هذا الوقت

( ومنها ) ان المسلمين في جميع الاقطار يعدون مصر باب الحرمين الشريفين ومعهد علوم الدين ، فاذا علموا ان حكومتها خرجت عن كونها اسلامية يألمون بالطبع وتفترج مسافة الخلف بينهم وبين النصارى وذلك لا يرضي به محب للانسانية .

( ومنها ) ان الانكليز يحسبون لسخط وعياهم المسلمين في الهند وغيرها حسابا اذا هم واقفوا القبط على ذلك جهرا ، والمسلمون أشد أهل الهند اخلاصا لهم في هذا الوقت

( ومنها ) ان هذا يذهب بكل أمل المسلمين في هذه الحكومة فيكون علة لرجوع المسلمين الى استعدادهم الذاتي واعتمادهم على انفسهم ، وحينئذ يخشى ان تخسر القبط منهم أكثر مما ترجح من الحكومة ، وان يعود الامر الى نصابه بقوة الاتحاد التي فقدتها المسلمون باتكالمهم على حكومتهم

( ومنها ) ان القبط ترجح على المسلمين رجحاناً ظاهراً يخشى ان يترتب عليه مع تعصب بعضهم لبعض فتن كثيرة ، وهذا مما لا يرضي به حكومة في الدنيا ولا يقبل ان يرضي به الانكليز

وصفة القول ان فتح باب هذه المسألة كان من الخطأ الذي يضر القبط دون المسلمين فانه أيقظ هؤلاء فاذا استمروا على يقظتهم كان فيه الخير العظيم لهم ، واذا عادوا الى غفائهم كان ضرره على القبط تأخير مطالبهم ، وبعد ما كان قريباً منها عنهم نعم ان القبط يستفيدون من هذه الحركة اكتماء استعداد المسلمين ، فاذا فاز المؤتمر المصري اضطروا الى معاملة المسلمين معاملة جديدة ورضوا ان يكونوا منهم مكان الأخ الصغير من الأخ الكبير الذي يكون رئيس العشيرة أو بما دون ذلك ، واذا خاب المؤتمر بسعي المفرقين من المسلمين ، علموا ان السيادة في هذه البلاد ستكون لهم ولو بعد حين

وسيكون المؤتمر المصري موضع التبعة الثامنة من مقالنا هذا

## النبذة الثامنة

### المؤتمر المصري

ان بركات هذا المؤتمر قد سبقت وجوده فان القبط لما علموا بالعمز عليه اضطروا الى سلوك سبيل الادب في التعبير، وتنكب السبيل التي سار عليها كتابهم في الجرائد وهي سبيل التمزق والتعير، ولكنهم لم يرجعوا عن مقصد من مقاصدهم، وأهمها إنكار كون حكومة مصر إسلامية، وإدعاء أنهم أعلى كفاءة من المسلمين وأنهم أخذوا معظم وظائف الحكومة بحق الكفاءة ويطلبون ما يطلبون من سائرنا بحق الكفاءة،

فهمهم اتحادهم وتحاذل المسلمين وطعن بعض أفرادهم وأحزابهم ببعض، ولا سيما بالتأبين منهم في الحكومة، فادعوا ما هو بديهي البطلان في مسألة الكفاءة الشخصية، وما يكاد يكون حقا ظاهرا في كفاءة العصبية المليية، لولا أن انبرى أولئك الأكفاء الفضلاء الى تأليف هذا المؤتمر الاسلامي المصري، وكل ما هو مصري فهو إسلامي اذا عرف المسلمون أنفسهم، وتعاونوا على القيام بمصالح قطرهم، لان غيرهم قليل فيكون بالضرورة مدغما فيهم، ليس له وجود مدني خاص بدونهم، ولكن وجودهم المدني - وقد اجتمعوا وتعاونوا - لا يتوقف على وجود غيرهم،

لولا غرور القبط باتحادهم، وتحاذل المسلمين وتفرقهم، لما طلبوا الرياسة الادارية بدعوى الكفاءة. وكيف تعرف كفاءة المرء في أمر ليس له فيه عمل، ولم تسبق له فيه تجربة، ومن ذا الذي يشهد لهم بهذه الكفاءة وشهادة المرء لنفسه باطله، ولم يشهد بها المسلمون ولا المحتلون وهم أبناء دينهم، فاذا كانوا يتدنون بشهادة أولياء الامور فليتركوا الامر اليهم، والا فليأتوا بشهادتهم ان كانوا صادقين

أما أنا فأقول ان هذا المؤتمر هو الذي يشهد لهم أو عليهم. ولا أعني بشهادته ما يأتي به خطباؤه من البيئات والحجج فقط وإنما أعني شهادة الحال، دون شهادة المقال، فان لسان المقال قد يكذب وقد يختلب لب السامع بالدمريات التخيلية، فيبرزها في صور الحقائق المرزقة، كما فعل خطباء القبط في مؤتمراتهم. وأما لسان الحال فهو الصدوق الذي لا يعرف الكذب، والحق الذي لا يأتيه الباطل، فتجاح المؤتمر المصري بالثبات

والنظام والعدل والانصاف والائحاد والتعاون هو الذي يشهد للمسلمين على القبط ،  
وشهادته لاتكون بذلك الاحقا ، لان تلك الصفات هي روح الحق

أبطاً مسلمو مصر في هذا المؤتمر كما أبطأ اخوانهم مسلمو الهند في مثله من قبل  
سبق وثبو الهند مسلميها في عقد المؤتمر السنوي والجمعية المالية ، والمسلمون هناك  
أقل من الوثنين عدداً ، وسبق قبط مصر مسلميها في انشاء المجلس الملي وفي عقد مؤتمر  
قبطي ، والمسلمون في مصر هم الاكثرون عدداً ، فما هو سبب ذلك ، ههنا وهناك ،  
كان المسلمون هم أصحاب العزة والسلطان القاب في الهند كمصر ، فعاش الفريقان  
الزمن الطويل بعد دخول الاجاب في بلادهم ، مفرورين بسابق عزهم وسلطانهم ،  
ولم يشعروا بحاجتهم الى حياة اجتماعية جديدة في هذا العصر الجديد كما شعر الهندوس  
هناك والقبط هنا لعدم غرورها ، وانما استيقظ مسلمو الهند قبل مسلمي مصر لان  
الغرور بالحكومة الاسلامية قد زال من نفوسهم من قبل وان اُبقت لهم انكسرة بعض  
النواب ( الامراء ) كالتمايل الاثرية او الموميا في متاحف العاديات ، وبقي مسلمو  
مصر مفرورين متكئين على حكومتهم ، مشغولين بسلطة الاحتلال المسيطرة عليها ،  
حتى زلزلت القبط هذا الغرور بائحادها وتكافلها وفقر افواها لاتباع الحكومة كلها ،  
كما أيقظ مسلمي الهند اتحاد الهندوس وتكافلهم وتقديم عليهم بعد ان كانوا دونهم ،  
فليس لفة المسلمين النسبية في الهند ولا لسكوتهم في مصر دخل في هذه المسألة  
الاجتماعية ، وانما هي قنة السياسة ، والغرور بشكل الحكومة ، قد اذهلا الامة  
عن نفسها ، وصرفها عن استعمال مواهبها ، حتى كادت تفقد نفسها ومواهبها

ان الامم الأوربية التي يجب ان نعتبر بحاها هي التي اصلحت حكوماتها ، ولم تكن  
حكوماتها هي التي اصلحتها ، فاذا ارتقت الامة ترتقي الحكومة بالضرورة ، وقد قال  
السيد الافغاني الحكيم : العاقل لا يُظلم ولا سباً اذا كان امة

يجب على زعماء الامم ان يوجهوها الى قواها الذاتية ، وروتها الطبيعية ، وان  
يحموا هذه القوى والثروة ، حتى تكون مصدر سعادة الامة ، وان يجولوا دون  
اقتان العامة بالسياسة ، والاشتغال بامر الحكومة ، فان ذلك يشغلها عما تحسنه وتقدر  
عليه ، بما لا تحسنه ولا قبل لها به ، وقد ورد في الحديث الشريف « اعملوا فكل ميسر لما  
خلق له » رواه الشيخان في صحيحهما

يعني انه ينبغي للانسان ان يعمل ويشغل بما يميل اليه استعداداً فانه هو الذي يرحي  
ان يتقنه ، ومن حكمة الله في اختلاف الاستعداد ، ان يقن مجموع البشر جميع

الاعمال ، فسألة الحكومة والسياسة فنة عظيمة في كل الشعوب ولا سيما في دور  
الاقبال الاجماعي والاقبال السياسي

ان للامة حقوقا على العلماء والكتاب والاضياء الذين يهتمون بالامور العامة  
ويتصدون لها . منها خدمة مصلحتها الدينية والادبية ، ومنها خدمة مصلحتها الاجتماعية ،  
ومنها خدمة مصلحتها الاقتصادية ، فاذا حصروا عملهم في السياسة أو جعلوه كله  
باسم السياسة ، أضعوا عليها هذه المصالح والمنافع التي لا تقوم لها ولا يقاء الا بها ، ولا  
سيما في مثل هذه البلاد التي ليس لها من أمر سياسة نفسها الا الكلام بقدر ما تسمح  
به حرية الحكومة . وإني اعتقد أن الامة لا ترتقي اذا كان همها كلها موجها الى شيء  
واحد وناهيك اذا كان ذلك الشيء هو السياسة التي لا يشتغل بها في كل الامم الا القليلون ،  
ولا يحسنها ممن يشتغل بها الا الافلون ،

أمرنا الكتاب العز أن نسير في الارض ونسبر بأحوال الامم ، فاذا نحن بلونا  
أخبار الشعوب القرية وسبرنا نفوسهم نرى أنهم ما وصلوا الى ما وصلوا اليه من العزة  
والثروة ، الا باهتمام النابضين منهم برقية الامة ، والاستعانة على ذلك بالجميات  
والشركات ، وتوزيع الاعمال بحيث يشتغل بكل نوع منها طائفة لا تشتغل بغيرها  
حتى تحسنها

اذا احتبنا حالهم في القرية وخدمة الدين نظن أنه لا هم لهم من الحياة غير  
دينهم ، ذلك بأن لهم خميات دينية كثيرة قد تبرعوا لها بالاموال ووقفوا لها الارواق  
حتى صارت تملك الملايين من الجنيئات ، وقد عمت التربية الدينية عندهم ثم قاض طوقانها  
على جميع شعوب الارض فانشأوا فيها المدارس والملاجيء والمستشفيات ، وطفقوا  
يشون فيها دينهم وينشرون كتبهم مترجمة بجميع اللغات ، وان الفقراء منهم ليساعدون  
هذه الجميات على قدر حالهم حتى ان منهم من يحرم نفسه من شرب الشاي أو من  
سكره أو من اللحم شهراً أو شهوراً أو سنة ويجعل ما كان ينفقه في ذلك للجميات  
الدينية كما يعلم ذلك من كتبهم وجراندهم

اذكر مثالا صغيرا من ذلك وقع في هذه البلاد : كتب قسيس انكليزي يقيم في شين  
الكوم في جريدة دينية أنه يريد ان يطوف القرى في الارياف للتبشير بالانجيل وأنه  
يحتاج الى دراجة ( يسكات ) لذلك ولا يملكها . فالت ان امطرت عليه بلائه

الدراجات الحيدة حتى صار يته مخزنا لها لا يكاد يسعها ، وتبع هذا من الدراهم والهدايا ما لا حاجة بنا الى عدده

واذا دفقتا النظر في اعمالهم المالية نظن انه لا هم لهم من الدنيا الامال والاحتيايل على جمعه وتصريف أمور العالم كله به وناهيكم بمصنوطاتهم التي يعيش العالم كله بها ، ولا تكاد تقم عين أحدنا الا عليها

واذا بحثنا في العلوم والفنون كل منها على حدة فانه يسبق الى اذهاننا عند الوقوف على عنايتهم بكل علم وحده انهم لم يشتغلوا بغيره ولا يحفلون الا ببلوغ الغاية منه حتى انهم جعلوا لكل فرع من فروع العلم الواحد جمعيات خاصة لاجل اتقائه

فاذا أردنا الاعتبار بحالهم مع الاستضاءة بنور العقل فعلمنا أن تغر في حاجات أمتنا ومصالحها العامة ونخص بكل منها طائفة تشتغل بها دون غيرها لان اتقان العمل الذي هو سلم الترفي لا يكون الا بذلك

عدنا جمعيات خيرية وتعليمية ودينية وقنابات مالية وزراعية وشركات تجارية وصناعية وتألفت عندنا مجالس المديرية لاجل تصميم التعليم وهذه المصالح كلها لا تزال ضعيفة وقصها محصوراً في دائرة ضيقة، فهي الآن كالأعضاء المتفرقة يجب اتصالها ليكون عمل كل منها متمما لعمل الآخر ، أو كالشرايين المنفصلة يجب اتصالها بالقلب لتستمد منه وتعدده ، أو كالاسلاك البرقية التي يصل كل منها بين بلدين أو أكثر من المملكة ولا تصل بالمرکز العام الذي يصل بعضها ببعض ، وما دامت مصالحنا متفرقة على هذا النحو لا نكون أمة متحدة فيجب ان يكون لجميع مصالح الامة العامة سبط واحد تنظم فيه حياتها ويزاد عليها حتى تكون عقداً كاملاً ، يجب ان تصل هذه الاعضاء العامة فتكون جسماً واحداً يعمل كل عضو منها عملة الخاص به لاجل منفعة سائر الاعضاء

فالسبط الذي نحتاج اليه لتكون عندنا الاجتماعي بل الدماغ أو القلب الذي نحتاج اليه ليمد جميع اعضاء الامة بالحياة هو هذا المؤتمر

ما سرني شيء في مصر كما سرني تألف هذا المؤتمر وانما يتم السرور ان شاء الله تعالى بنجاحه ودوامه، واتي اقترح عليه ما يغلب على ظني ان غيري يقترحه والحق يريد عينه ويملو شرفه بكثرة طلابه ، ولكن لا ينقص شرفه بقلوبهم ، فان الحق كالجوهر الخالص ، شرفه ذاتي له وانما يملو ويغلو بمعرفة الناس لهذا الشرف وتقاسمهم فيه أي بأص طارض غير ذاتي

كفاني قانون المؤتمر امر اقتراح ساجي لا بد منه ، ولا يرجي بقاء المؤتمر وقعه الا به ، وهو عدم الاشتغال بالسياسة ، فالسياسة ما دخلت في شيء الا افسده كما قال الاستاذ الامام ، فيجب ان تترك لنفسها ويفوض أمرها الى أحزابها ، وان يشتغل المؤتمر بآدونها من مصالح الامة فيجتمع متفرقا ، ويكمل ناقصها ويوحد وجهتها ، ليكون عمل الكل موجهها الى غاية واحدة

للمؤتمر عمل عارض مؤقت وأعمال دائمة مقصودة لذاتها ، فالعمل العارض المؤقت هو تمحيص مطالب المؤتمر القبطي وبيان حقه من باطله

يقول الله تعالى ( ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن ) الآية . ولا أحسن من بيان الوقائع وإثبات الحق بالأحصاء الصحيح ، وبذلك يثبت المؤتمر أنهم طلبوا من أعمال الحكومة ما لو أعطوه لاضحت الحكومة قبطية خالصة ، ويسهل على المؤتمر ان يثبت ما يعترف به بعض القبط من تعصب رؤسائهم لهم في جميع المصالح وهددوهم على المسلمين ومن كان هذا شأنهم فاسناد الوظائف الرئيسية اليهم يخشى ان ينفي الى ما لا محمد عقباه من التعصب والفلو في الحلاف حيث تكون الحكومة كلها في أيديهم

وليس فيما قاله القبط في مؤتمرهم وما يكررونه كثيراً في جرائمهم أمر ذو بال الا تصرحهم بأن هذه البلاد ليست إسلامية وحكومتها ليست حكومة إسلامية . ان القبط على احترامهم في مؤتمرهم ونحاميهم الالفاظ التي تكبر المؤاخذه عليها صرحوا بأنه لا يقول ان هذه البلاد إسلامية للمسلمين فيها ما ليس لغيرهم الا افراد لا يجاوزون عدد اصابع ، صرح بذلك خطيبهم توفيق بك دوس الحامي ولجريدتهم كلام كثير في ذلك أوضح مما قاله خطيب مؤتمرهم . وعلى هذينوا وجوب تعليم الدين المسيحي في مدارس الحكومة وبطالة يوم الاحد

فيجب على المؤتمر ان يبين ما يترتب على هذه الدعوى وهو انه اذا كانت الحكومة الخديوية تعترف من نفسها أنها غير إسلامية أو يكرها المحتلون على ذلك فان المسلمين لا يرضون ان تكون محاكمهم الشرعية تابعة لها ، ولا أوقافهم ومدارسهم الدينية تحت ادارتها ، ولا وضع تركت من يموت منهم عن غير وارث في خزينتها ، بل يطلبون حينئذ ان يستألفوا بجميع اموالهم الدينية كالقبط وغيرهم . فاما الحكومة فلا تعترف بهذا واما المحتلون فلا يتحملون تبعته

لأحب أن أطيل في المسألة القبطية أصولها وفروعها وإنما كتبت ما كتبت من

قبل لثنيه المسلمين الى ما هم في أشد الحاجة اليه ، وهو ان يعرفوا أنفسهم من معهم ،  
 ويعرفوا ما لهم وما عليهم ، وأنا واثق بأنه يسهل على المؤتمر المصري أن بين للمصنفين  
 من شعوب الدنيا وغيرهم ان القبط غائبون لا مقبولون ، وأن المسلمين مغلوبون بتساهلهم  
 لا ظالمون ، وان الخير للقبط ان يقنعوا بما هم فيه من النعم ، وأن لا يطلبوا شيئاً باسم  
 القبط ، ولا ينادوا في صفة الحكومة الاسلامية ، وأن يهودوا عما تجرءوا عليه من  
 تهمة المسلمين بالنصب الديني عليهم لتصراتهم ، ومن تحريض أوربة عليهم ، وعن  
 لهجة البذيئة التي ستمها لهم جرائدهم

كل هذا مما يسهل على المؤتمر بالبراهين ولكن القبط لا تدعن له الاذارات من  
 المسلمين الحزم ومجاراتها في توثيق الرابطة الملية والتعاون الديني على الترقى . فاذا هم  
 عرفوا حدهم ، واعترفوا بحق غيرهم ، فاني أحب للمسلمين أن يستوصوا بهم خيراً ،  
 ويسطوهم أكثر مما يستحقون ، كما كانوا من قبل يتعاونون ، ولا أحب للمسلمين  
 ان يرجوا بصفة المنبون ، الذي لا هو محمود ولا هو مأجور

\*\*\*

### أعمال المؤتمر الدائمة

أما أعمال المؤتمر الدائمة فكثيرة لا يمكن شرحها في هذا المقال وإنما نشير فيما تقرر  
 في خاتمه الى أصولها وقواعدها  
 وأما فائده فأكبرها عندي ما اشترت اليه آتفاً من توحيد المصالح والاعمال  
 العامة التي تقوم بها الامة دون الحكومة ومساعدتها عليها وتوجيهها الى المقصد  
 الصحيح الذي ترقى به الامة في معارج الكمال المادي والمعنوي ، ويدور ذلك كله  
 على أربعة أقطاب ( ١ ) التربية الملية والتعليم ( ٢ ) إرشاد العوام الى تحسين معيشتهم  
 في آدابهم وأعمالهم وصحتهم ومعاملتهم لمن يعيش معهم من موافق ومخالف ( ٣ ) حفظ  
 ثروة الامة وتمييزها بالوسائل الحديثة ، والتوقي من الفوائل التي تنالها ( ٤ ) مواساة  
 العاجزين والبائسين وإمانة المتكويين والفارمين

سيشرح خطباء المؤتمر هذه المقاصد كلها أو بعضها ويبينون وجه الحاجة إلى  
 ما يتكلمون فيه وما ينبغي ان يقرره المؤتمر ويقوم به ، وإنما يقرر المؤتمر المطلوب  
 العامة بالاجمال ، وأما التفصيل الذي يترتب عليه التنفيذ فيتوقف على تأليف لجان تختص

كل لجنة منها بعمل من الاعمال، ويكون روح الاعمال كلها تكوين الامة وتوحيد وجهتها في حياتها الاجتماعية  
 فاذا بحثنا في مقصد التربية والتعليم نرى ان تربية ابناءنا وبناتنا مفرقة لأجزاء أمتنا  
 مفرقة لاعضائها حائلة دون ان نكون أمة متحدة، لا مكونة للأمة . أي ان التربية والتعليم  
 اللذين يتنافس فيهما ، وبذلك النفيس لاجلها ، ونظن ان فيهما عزوما وارتقاءنا ،  
 هما حائلان دون كل ما نطلبه من وحدة الامة وارتقاءها

### ﴿ المدارس والتربية والتعليم ﴾

ما هو المقصد العام من المدارس ، ومن يدير هذه المدارس ويحقق لنا ما مقصد  
 منها ، وهل الذين تخرجوا في هذه المدارس متحدون في أفكارهم ومقاصدهم ،  
 متوجهون الى توحيد الامة وجعلها مثلهم ،  
 لابقاء للأمة الابالحفاظة على عقائدها وآدابها وشعائرها الدينية وأخلاقها  
 وعاداتها ولغتها وهي مقوماتها ومشخصاتها التي تكونت بها بالوراثة وفعل القرون كما  
 تكون المعادن في الأرض ، فاذا طرأ على هذه المقومات والشخصيات بفعل الزمن  
 ما يبسيها ويشوهها ويجعل الاستفادة منها قليلة كان الواجب على المرين والمعلمين ان يزيلوا  
 تلك السيوب كما يزال الصدأ عن الحديد لان يزيلوا الجوهر نفسه ويضموا مكانه جوهر آخر  
 قال صلى الله عليه وسلم « تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام  
 اذا فقهوا » رواه الشيخان . والامم معادن كالافراد وعمل المرين فيها كعمل الصانع في المعادن  
 وبعملهم تظهر من اياها ومنافعها فهرة الصانع يصقلون الحديد الاسود حتى يكون ابيض لامعا  
 كاللؤلؤ حتى تفضله بلونه على الفضة المهمة في المكان الرطب يتغير لونها ويحول بهاؤها  
 كذلك الامم تظهر محاسنها ومنافعها في زمن دون زمن بالتربية والعلم ، وجوهرها هو  
 جوهرها لا يتغير في نفسه الا بزواله وفنائه أو ادخاله في جوهر آخر كما يمزج قليل  
 من المائع في غيره فيغيب عن العين ويحول ذلك الوجود الخاص به . فقد كان كل  
 من الصين الانكليزي والفرنسي جاهلا لامزية له في عالم المدنية ثم تعلموا وارتقوا وبقي  
 كل منهما ممتازاً بمقوماته ومشخصاته فنتجها في الاول الرصانة والثبات والبطء في التحول  
 عن الشيء ولو قبيحاً ، وفي الثاني الذكاء والخفة ومرعة التحول ، ولكل من الخلقين  
 المتضادين منافع ومضار ، ولكن المنافع هي التي تغلب في طور الحياة والارتقاء ، والمضار  
 هي التي تغلب في طور الضعف والاعطاط

فرضنا من هذا المثل إننا محتاجون الى تربية تزيل الصدأ الذي طرأ على جوهر أمتنا حتى يظهر جوهرها قويا ويسهل الانتفاع به ، والى تعليم يعرف به طرق استعمال مواهبنا الفطرية وخيرات بلادنا فيها يرقينا ويرفع شأننا . ولكن أمر تربيتنا وتعليمنا ليس في أيدينا فلارأي لسراقتنا ولا لأهل العلم والبصيرة بنا في أكثره

نلقي بنا تلاميذ مدارس الراهبات ومدارس الأمريكان فهل يتعلمن فيها آداب ديننا وأحكامه ويترين على عباداته وأخلاقه؟ ألا إننا نعلمهن لا يتعلمنها ولكن يتعلمن ما ينفر منها ، ويبعد عنها ، فيخرجن لانصرانيات على آداب النصرانية ، ولا مسلمات على الآداب والفضائل الاسلامية ، وهل يرجى صلاح بيوت هذا شأن ربنا؟ أم يرجى ان تكون الامة المكونة من هذه البيوت أمة متحدة مرتقية ؟

عندنا مدارس أهلية ابتدائية للبنات فهل نجد فيها من الفضيلة وآداب الاسلام وعباداته ما ننفقه في مدارس الأفرنج ؟ لا لا

ان أمثل المدارس مدارس الحكومة ولا غناء فيها ، فجميع مدارس البنات في هذا القطر غير صالحة للتربية التي نحن في أشد الحاجة اليها ، ولا يرجى أن توجد المدارس الصالحة ونحن في هذه الفوضى بالمصادفة ، ولكننا اذا خرجنا بهذا المؤتمر من هذه الفوضى فإنا نجد ما نرجو كما نحب لانه يكون برأي الامة وتديرها

ان جميع المدارس المصرية من افرنجية وأهلية وأميرية غير صالحة للتربية المليية التي رتقي بها الامة بزكية جوهرها الفطري وحفظ مقوماتها المليية ، كل هذه المدارس تجذب المعلمين والمتعلمين فيها الى التفرنج ففتتهم بلغة غير لغتهم ، وآداب غير آدابهم ، وعادات غير عاداتهم ، كما تخفض مقام ماتهم وقومهم في أنفسهم ، وتعلي فيها مقام أقوام آخرين ، كلها آلات محلاة بل سيوف مقطعة لمقومات الامة ومسخصاتها ، لاهم للمتفرجين والمتخرجات فيها الا ان يجدوا مالا يبدلون به للاجانب ثمنا لما عندهم من اللذات والزينة ، بل يبدلون القناطر منه في القمار والمضاربات ومالا لذة فيه الا الهوس والخيل وقنوق الجنون

فعلى المؤتمر ان يتدارك هذا الفساد قبل ان يعم ويتعذر تداركه بفسوه في كل الطبقات والاجماع على استهسانه

تلك إشارة الى وجه الحاجة الى المؤتمر في أحدث تلك المقاصد العامة والاقطاب التي

تدور عليها مقاصد الامة ، ففس عليه سائرها

وجهة القول ان المرجو من المؤتمر أن يكون سلك النظام للاعمال الحرة التي

قوم بها الامة من الجمعيات والنقابات والشركات ، يوحد وجهتها ، ويساعد كلا منها  
بقدر الطاقة

ليس المراد من ذلك ان تكون الجمعيات جمعية واحدة ، ولا الشركات شركة  
واحدة ولا النقابات كذلك ، ولا ان تعبر قوانينها ونظاماتها ، ولا ان يكون المؤتمر  
مسيطر عليها ، فان ذلك ينافي توزيع الاعمال ، ومباراة العاملين ، ولا ترتقي الاعم  
الاب هذا التوزيع الذي هو وسيلة الاتقان

وانما المراد ان هذه المصالح كاعضاء البدن : العيان تبصران والاذنان تسمعان  
واليدان تعملان والرجلان تسيان وكذلك الاعضاء الباطنة كالصحة والكبد تعمل  
اعمالها كل هذه الاعمال الاختيارية وغير الاختيارية تجري على نظام واحد غاية حفظ  
البدن كله ، والقلب يمدها كلها بالدم الذي يعينها على اعمالها ، وبالنظام المقدر ، والقدر  
المعين ، والنظام قوام الوجود ، ومعيار الاعمال ، ووسيلة السكال ،

## اقترح صاحب المنار

( على المؤتمر المصري )

بسم الله الرحمن الرحيم

« واتمروا بينكم بهرؤف »

أحيي رجال هذا المؤتمر الكرام الذين هم موضع الرجاء في ترقية أهل هذا  
القطر السعيد وإعلاء شأنه ، وأكاشفهم عما عني من الرأي وان كنت أظن ان شيري  
سبقني اليه كله أو بعضه

ان هذا المؤتمر هو الذي يمثل حياة مسلمي مصر الاجتماعية ودرجة ارتقائهم وما  
يرجى لهم من المزيد وقد سبقهم الى مثله مسلمو الهند . وانما نجاحه بثباته ودوامه ،  
ولا يثبت ويدوم الا بما تقرر من جعله بمنزل عن السياسة ، وحصر اعماله في ترقية الامة  
بالتربية والتعليم والكسب والاقتصاد والتكافل والتضامن في المصالح والمرافق . واما  
تمحيص مطالب القبط وبيان ما هو الحق في هذه المسألة فهو اهلون اعمال المؤتمر العارضة  
فأقترح على المؤتمر أن يكون له خمس لجان دائمة تعمل وتسمى لتحقيق

منعده التالي